توجيه إشكال التذكير في كلمة (قريب) من قوله تعالى :

﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:56]

بقلم

د/ عبد القادر شكيمة (*)

ملخص

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

لا زال بُعد الناس عن زمن اللغة العربية الفصيحة القحة يثير الإشكال حول بعض آيات القرآن الكريم التي يظهر للمشككين مخالفتها للغة، وهي عند التأمل والتدقيق موافقة لها، ومما أثير من الإشكالات إشكالُ التذكير في لفظ (قريب) وهو صفة للفظ (رحمت) المؤنث في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:56].

وبعد البحث والاستقراء وجدت المفسرين واللغويين اختلفوا في رفع هذا الإشكال على اثني عشر قولا أرجحها قولان.

الكلمات المفتاحية: توجيه، التذكير ، قريب.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين إله الأولين والآخرين أنزل كتابه هداية للناس أجمعين، وحفظه من أن تمسه أيدي المحرفين والمشككين، فكلما ظهر قرن محرف أو مشكك قطع، وكلما أثير إشكال رفع.

(*) أستاذ محاضر قسم ب. قسم أصول الدين – معهد العلوم الإسلامية– جامعة الوادي.
(chekabaghani@gmail.com)

والصلاة والسلام على النبي الأمين محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

لا زال بُعد الناس عن زمن اللغة العربية الفصيحة القحة يثير الإشكالات حول بعض آيات القرآن الكريم التي يظهر للمشككين مخالفتها للغة، وهي عند التأمل والتدقيق موافقة لها، ومما أثير من الإشكالات إشكالُ التذكير في لفظ (قريب) وهو خبر للفظ (رحمت) المؤنث، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِين﴾[الأعراف:56]. وفي الآيات الأخرى من القرآن الكريم وفي الأحاديث توصف ويشار إليها بالتأنيث مثل قوله تعالى: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ [الأنعام:147] وقوله: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون﴾[آل عمران:107] وقوله: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُون ﴾ [الأعراف:156] وفي قوله صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّ اللَّهَ لَمَّا قَضَى الخَلْقَ، كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي" [رواه البخاري:7453]

في هذا المقال سأسرد أقوال المفسرين واللغويين في رفع هذا الإشكال وتبيين الراجح منها مخللا بعض الأقوال بما اعترض عليها متماشيا مع طريقة التفسير المقارن وذلك من خلال الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ما هي أقوال المفسرين في توجيه الإشكال المذكور أعلاه؟
- هل لهذه الأقوال أدلة؟
- هل اعترض على هذه الأقوال؟
- ما هو الراجح من تلك الأقوال؟

أولا: ذكر الأقوال:

اختلف المفسرون واللغويون في رفع الإشكال المذكور على اثني عشر قولا:

القول الأول: (قريب) في الآية هو فعيل بمعنى فاعل، فكان حقه أن يكون بالتاء، ولكنهم أجروه مجرى فعيل بمعنى مفعول فلم يلحقوه التاء؛ كما جرى فعيل بمعنى مفعول مجرى فعيل بمعنى فاعل في إلحاقه التاء. وهو قول ذكره "الزمخشري والبيضاوي والنسفي والقرطبي والسمين الحلبي"[1].

القول الثاني: أن (رحمت) في الآية من باب تأويل المؤنث بمذكر موافق له في المعنى، فالرحمة بمعنى الإحسان والغفران والثواب والعفو...، و(قريب) نعت له في المعنى دون اللفظ. وهو قول "سعيد بن جبير والزجاج، واختاره النحاس"[2]، وذكره "مكي والكرماني"[3]. وقال الأخفش جائز أن تكون بمعنى المطر[4].

القول الثالث: إن (رحمت) في الآية من باب حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه مع الالتفات إلى المحذوف، فكأنه قال: إن مكان الرحمة قريب من المحسنين، ثم حذف المكان وأعطى الرحمة إعرابه وتذكيره، وهو قول الكسائي[5].

القول الرابع: أنه من باب حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه، كأنه قال: إن رحمة الله شيء قريب من المحسنين، أو أمر قريب. ذكره "الزمخشري والقرطبي والبيضاوي والنسفي وابن جزي والسمين الحلبي"[6].

القول الخامس: أن هذا من باب اكتساب المضاف حكم المضاف إليه، أي: لما أضاف المؤنث إلى المذكر أخرجه على مخرج المذكر. وهو قول سيبويه[7].

القول السادس: أن هذا من باب الاستغناء بأحد المذكورين عن الآخر، لكونه تبعا له ومعنى من معانيه، فإذا ذكر أغنى عن ذكره لأنه يفهم منه؛ فالأصل في الآية: إن الله قريب من المحسنين، وإن رحمة الله قريبة من المحسنين. فاستغنى بخبر المحذوف عن

خبر الموجود وسوغ ذلك ظهور المعنى. ذكر هذا القول ابن القيم واستحسنه وعبر عنه بقوله: "وهذا المسلك مسلك حسن إذا كسى تعبيرا أحسن من هذا، وهو مسلك لطيف المنزع دقيق على الأفهام، وهو من أسرار القرآن."(8)

القول السابع: الرب تبارك وتعالى قريب من المحسنين ورحمته قريبة منهم، قربه يستلزم قرب رحمته، ففي حذف التاء هاهنا تنبيه على هذه الفائدة العظيمة الجليلة، وأن الله تعالى قريب من المحسنين، وذلك يستلزم القربين قربه وقرب رحمته.

القول الثامن: أن الرحمة مصدر، والمصادر كما لا تثنى ولا تجمع فحقها أن لا تؤنث. وهو قول النضر بن شميل(9).

القول التاسع: أن القريب يراد به شيئان أحدهما: النسب والقرابة، فهذا بالتاء؛ تقول فلانة قريبة لي، والثاني قرب المكان، وهذا بلا تاء. تقول: جلست فلانة قريبا مني، ولا تقول: قريبة مني. وهو قول "الخليل والفراء وأبي عبيدة والكوفيين"(10)

القول العاشر: أن تأنيث الرحمة لما كان غير حقيقي ساغ فيه حذف التاء. قاله الزجاج(11). وذكره "الرازي والقرطبي وابن جزي والسمين الحلبي"(12)

القول الحادي عشر: أن قريبا مصدر لا وصف وهو بمنزلة النقيض فجرد من التاء. ذكره "الزمخشري والبيضاوي والنسفي"(13).

القول الثاني عشر: أن (فعيلا) و(فعولا) مطلقا يستوي فيهما المذكر والمؤنث، حقيقيا كان أو غير حقيقي. ذكره ابن القيم(14).

ثانيا: أدلة الأقوال.

بعد سرد الأقوال أعرض أدلة كل قول فيما يلي:

دليل القول الأول: يقال: خصلة حميدة وفعلة ذميمة بمعنى محمودة ومذمومة؛ فحملوا على جميلة وشريفة في لحاق التاء، وحملوا قريبا على امرأة قتيل وكف خضيب

وعين كحيل في عدم إلحاق التاء حملا لكل من البابين على الآخر. ونظيره قوله تعالى: ﴿قالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ فحمل رميما وهي بمعنى فاعل على امرأة قتيل وبابه[15].

دليل القول الثاني:

قال سعيد بن جبير: الرحمة هاهنا الثواب، فرجع النعت إلى المعنى دون اللفظ كقوله: ﴿وَإِذا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبى وَالْيَتامى وَالْمَساكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ [النِّسَاءُ: 8] ، ولم يقل منها لأنه أراد الميراث والمال[16].

دليل القول الثالث:

يقال: أكلت الشاة ويراد لحم الشاة، ويقال أكل فلان فلانا أي مال فلان...

دليل القول الرابع:

قال سيبويه: "وذلك قولك: امرأةٌ حائضٌ، وهذه طامثٌ، كما قالوا: ناقةٌ ضامرٌ، يوصف به المؤنَّث وهو مذكر. فإنَّما الحائض وأشباهه في كلامهم على أنَّه صفة شيء، والشيء مذكر، فكأنهم قالوا: هذا شيء حائضٌ. "[17]

دليل القول الخامس:

قال الشاعر: لَمَّا أَتَى خَبَرُ الزُّبَيْرِ تَواضَعَتْ *** سُورُ المدينةِ والجبالُ الخُشَّعُ[18]

فأنث (السور) المضاف إلى المدينة، لتأنيث المضاف إليه، مع أن التذكير أصل والتأنيث فرع فحمل الأصل على الفرع، فلأن يجوز تذكير المؤنث لإضافته إلى غير مؤنث أولى، لأنه حمل للفرع على الأصل[19].

دليل القول السادس:

قال ابن القيم: "والذي ينبغي أن يعبر عنه به: أن الرحمة صفة من صفات الرب

تبارك وتعالى، والصفة قائمة بالموصوف لا تفارقه؛ لأن الصفة لا تفارق موصوفها، فإذا كانت قريبة من المحسنين فالموصوف تبارك وتعالى أولى بالقرب منه، بل قرب رحمته تبع لقربه هو تبارك وتعالى من المحسنين."[20]

دليل القول السابع:

قال ابن القيم: "لو قال: إن رحمة الله قريبة من المحسنين. لم يدل على قربه تعالى منهم؛ لأن قربه تعالى أخص من قرب رحمته والأعم لا يستلزم الأخص بخلاف قربه، فإنه لما كان أخص استلزم الأعم وهو قرب رحمته...فلا تستهن بهذا المسلك؛ فإن له شأنا، وهو متضمن لسر بديع من أسرار الكتاب... وهو المختار، وهو من أليق ما قيل فيها. "[21]

دليل القول الثامن: لأن القريب والبعيد يصلحان للواحد والجمع والمذكر والمؤنث. كما قال: لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً [الأحزاب: 63] وقال: وَما هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ [هود: 83][22]

دليل القول التاسع:

قال الفراء: "ورأيتُ العرب تؤنث القريبة فِي النسب لا يَختلفونَ فيها، فإذا قالوا: دارك منّا قريب، أو فلانة منك قريب فِي القرب والبعد ذكَّروا وأنَّثوا. وَذَلِكَ أن القريب فِي المعنى وإن كَانَ مرفوعًا فكأنه فِي تأويل: هي من مكان قريب. فجعل القريب خَلَفًا من المكان كما قَالَ الله تبارك وتعالى: ﴿وَما هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ وقال: ﴿وَما يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً﴾ ولو أنَّث ذَلِكَ فبنى عَلَى بعدَتْ منك فهي بعيدة وقَرُبت فهي قريبة كَانَ صوابًا حسنًا."[23]

دليل القول العاشر:

إنّ تأنيث الرحمة ليس بحقيقي وما كان كذلك جاز فيه التذكير والتأنيث عند أهل

اللغة[24]، تقول طلع الشمس وطلعت، وقال نسوة وقالت نسوة[25].

دليل القول الحادي عشر:

لأنك إذا أخبرت عن المؤنث بالمصدر لم تلحقه التاء، يقال: امرأة عدل، ولا يقال: عدلة.

دليل القول الثاني عشر:

قال امرؤ القيس:

لَهُ الوَيلُ إِن أَمسى وَلا أُمُّ هاشِم *** قَريبٌ وَلا البَسْبَاسَةُ اِبنَةَ يَشكُرَا[26]

وقال جرير:

أَتَنْفَعُكَ الحَيَاةُ وَأُمُّ عَمْرٍو *** قَرِيبٌ لا تَزُورُ وَلا تُزَارُ؟[27]

ثالثا: الاعتراضات على الأقوال.

لم تسلم أكثر الأقوال والاستدلال لها من الاعتراضات، وأكثر من اعترض عليها ابن قيم الجوزية، وفيما يلي الاعتراضات على كل قول مرتبة من الأول إلى الأخير:

الاعتراض على القول الأول:

اعترض ابن القيم على هذا القول بثلاثة اعتراضات:

"أحدها: أن ذلك يستلزم التسوية بين اللازم والمتعدي، فإن فعيلا بمعنى مفعول بابه الفعل المتعدي، وفعيلا بمعنى فاعل بابه الفعل اللازم؛ لأنه غالب ما يأتي من فعل المضموم العين، فلو جرى على أحدهما حكم الآخر لكان ذلك تسوية بين اللازم والمتعدي وهو ممتنع.

الثاني: أن هذا إن ادعي على وجه العموم فباطل، وإن ادعي على سبيل الخصوص فما الضابط وما الفرق بين ما يسوغ فيه هذا الاستعمال وما لا يسوغ؟

الثالث: أن العرب قد نطقت في فعيل بالتاء وهو بمعنى مفعول وجردته من التاء وهو بمعنى فاعل. قال جرير يرثي خالته:

نِعْمَ القَرينُ وَكُنتِ عِلقَ مَضِنَّةٍ ❊❊❊ وارَى بِنَعفِ بُلَيَّةَ الأَحجارُ[28]

فجرد القرين من التاء وهو بمعنى فاعل. وقال:

فَسَقاكِ حَيثُ حَلَلْتِ غَيرَ فَقيدَة ❊❊❊ هَزِجُ الرّواح، ودِيَمةٌ لا تُقْلِعُ[29]

فقرن (فقيدة) بالتاء وهو فعيل بمعنى مفعول أي غير مفقودة. وقال الفرزدق:

فَدَاوَيْتُهُ عَامَينِ وَهْيَ قَرِيبَةٌ❊❊❊ أراهَا وَتَدْنُو لي مِرَاراً فأرْشُفُ[30]

ويقولون: امرأة فتين وسريح وهريت فجردوه عن التاء، وهو بمعنى فاعل، وقالوا: امرأة فروك وهلوك ورشوف وأنوف ورضوف فجردوه وهو بمعنى فاعل كصبور. وقالوا امرأة عروب، فجردوه أيضا ثم قالوا امرأة ملولة وفروقة، فقرنوه بالتاء وهو بمعنى فاعل أيضا. ودعوى أن التاء هاهنا للمبالغة لا دليل عليها، فقد رأيت اشتراك فعول وفعيل في الاقتران بالتاء والتجرد منها. فدعوى أصالة المجرد منهما وشذوذ المقرون مقابلة بمثلها ومع مقابلها قياس اللغة في اقتران المؤنث وتجريد المذكر. وأما ما استشهد تم به من قوله تعالى: ﴿مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ فهو على وفق قياس العربية، فإن العظام جمع عظم وهو مذكر ولكن جمعه جمع تكسير، وجمع التكسير جوز أن يراعى فيه تأنيث الجماعة، وباعتباره قال: «وهي» ولم يقل وهو. ويراعى فيه معنى الواحد وباعتباره قال «رميم» كما يقال: عظم «رميم» مع أن رميما يطلق على المذكر مفردا وجمعا. قال جرير:

آلُ المُهلَّبِ جدَّ اللهُ دَابِرَهُمْ ❊❊❊ أمْسَوْا رَمِيمًا فلا أصْلٌ وَلا طَرَفُ[31]"

فهذا الاعتراض على هذا المسلك. "[32]

الاعتراض على القول الثاني:

قال ابن القيم: ((وقد اعترض عليه باعتراضين فاسدين غير لازمين:

أحدهما: أنه لو جاز تأويل المؤنث بمذكر يوافقه وعكسه لجاز أن يقال: كلمتني زيد، وأكرمتني عمرو، وكلمني هند وأكرمني زينب، تأويلا لزيد وعمرو بالنفس والجثة وتأويلا لهند وزينب بالشخص والشبح. وهذا باطل. وهذا الاعتراض غير لازم، فإنهم لم يدّعوا اطراد ذلك وإنما ادّعوا أنه مما يسوغ أن يستعمل، وفرق بين ما يسوغ في بعض الأحيان وبين ما يطرد، كرفع الفاعل ونصب المفعول، وهم لم يدعوا أنه من القسم الثاني.

ثم إن هذا الاعتراض مردود بكل ما يسوغ استعماله بمسوغ وهو غير مطرد وهو أكثر من أن يذكر هاهنا ولا ينكره نحوي أصلا، وهل هذا إلا اعتراض على قواعد العربية بالتشكيكات والمتناقضات؟ وأهل العربية لا يلتفتون إلى شيء من ذلك، فلو أنهم قالوا يجوز تأويل كل مؤنث بمذكر يوافقه وبالعكس لصح النقض، وإنما قالوا يسوغ أحيانا تأويل أحدهما بالآخر لفائدة يتضمنها التأويل كالفائدة التي ذكرناها من تأويل الرحمة بالإحسان.

الثاني: أن حمل الرحمة على الإحسان إما أن يكون حملا على حقيقته أو مجازه وهما ممتنعان. فإن الرحمة والإحسان متغايران لا يلزم من أحدهما وجود الآخر، لأن الرحمة قد توجد وافرة في حق من لا يتمكن من الإحسان كالوالدة العاجزة ونحوها. وقد يوجد الإحسان ممن لا رحمة في طباعه كالملك القاسي فإنه قد يحسن إلى بعض أعدائه وغيرهم لمصلحة ملكه مع أنه لا رحمة عنده. وإذا تبين انفكاك أحدهما عن الآخر لم يجز إطلاقه عليه لا حقيقة ولا مجازا. أما الحقيقة فظاهر. وأما المجاز: فإن شرطه خطور

المعنى المجازي بالبال ليصح انتقال الذهن إليه فإذا كان منفكا عن الحقيقة لم يخطر بالذهن.

وهذا الاعتراض أفسد من الذي قبله. وهو من باب التعنت والمناكدة.

وأين هذا من قول أكثر المتكلمين- ولعل هذا المعترض منهم-: أنه لا معنى للرحمة غائيّا إلا الإحسان المحض. وأما الرقة والحنان التي في الشاهد فلا يوصف الله بها، وإنما رحمته مجرد إحسانه، ومع أنا لا نرتضي هذا القول بل نثبت لله تعالى الرحمة حقيقة كما أثبتها لنفسه منزهة مبرأة عن خواص صفات المخلوقين كما نقوله في سائر صفاته من إرادته وسمعه وبصره وعلمه وحياته وسائر صفات كماله- فلم نذكره إلا لنبين فساد اعتراض هذا المعترض على قول أئمته ومن قال بقول المتكلمين.

ثم نقول: الرحمة لا تنفك عن إرادة الإحسان فهي مستلزمة للإحسان أو إرادته، استلزام الخاص للعام، فكما يستحيل وجود الخاص بدون العام فكذلك الرحمة بدون الإحسان أو إرادته يستحيل وجودها.

وأما قضية الأم العاجزة: فإنها وإن لم تكن تقدر على الإحسان بالفعل فهي محسنة بالإرادة فرحمتها لا تنفك عن إرادتها التامة للإحسان التي يقترن بها مقدورها إما بدعاء وإما بإيثار بما تقدر عليه ونحو ذلك، فتخلف بعض الإحسان الذي لا تقدر عليه عن رحمتها لا يخرج رحمتها عن استلزامها للإحسان المقدور وهذا واضح وأما الملك القاسي إذا أحسن فإن إحسانه لا يكون رحمة فهذا لأن الإحسان أعم من الرحمة والأعم لا يستلزم الأخص، وهم لم يدعوا ذلك فلا يلزمهم.

وأيضا فإن الإحسان قد يقال إنه يستلزم الرحمة وما فعله الملك المذكور ليس بإحسان في الحقيقة، وإن كانت صورته صورة الإحسان.

وبالجملة: فالعنت والمناكدة على هذا الاعتراض أبين من أن يتكلف معه رده وإبطاله. "[33]

الاعتراض على القول الثالث:

رده ابن القيم قائلا: " وهذا المسلك ضعيف جدا؛ لأن حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه لا يسوغ ادعاؤه مطلقا، وإلا لالتبس الخطاب وفسد التفاهم وتعطلت الأدلة. إذ ما من لفظ أمر أو نهي أو خبر متضمن مأمورا به ومنهيا عنه ومخبرا إلا ويمكن على هذا أن يقدر له لفظ مضاف، يخرجه عن تعلق الأمر والنهي والخبرية، فيقول الملحد في قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ [آل عمران:97]، أي معرفة حج البيت. ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾ [البقرة:183]، أي معرفة الصيام. وإذا فتح هذا الباب فسد التخاطب وتعطلت الأدلة، وإنما يضمر المضاف حيث يتعين ولا يصح الكلام إلا بتقديره للضرورة، كما إذا قيل: أكلت الشاة، فإن المفهوم من ذلك أكلت لحمها فحذف المضاف لا يلبس، وكذلك إذا قلت: أكل فلان كد فلان إذا أكل ماله، فإن المفهوم أكل ثمرة كده، فحذف المضاف هنا لا يلبس ونظائره كثيرة.

وإذا عرفت هذا فقوله: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ليس في اللفظ ما يدل على إرادة موضع ولا مكان أصلا، فلا يجوز دعوى إضماره بل دعوى إضماره خطأ قطعا. لأنه يتضمن الإخبار بأن المتكلم أراد المحذوف ولم ينصب على إرادته دليلا لا صريحا ولا لزومها. فدعوى المدعي أنه أراده: دعوى باطلة. "[34]

الاعتراض على القول الرابع:

رده ابن القيم قائلا: " وهذا المسلك أيضا ضعيف لثلاثة أوجه:

أحدها: أن حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه إنما يحسن بشرطين أن تكون الصفة خاصة يعلم ثبوتها لذلك الموصوف بعينه لا لغيره.

الثاني: أن تكون الصفة قد غلب استعمالها مفردة على الموصوف كالبر والفاجر والعالم والجاهل والمتقي والرسول والنبي ونحو ذلك مما غلب استعمال الصفة فيه مجردة عن الموصوف، فلا يكاد يجيء ذكر الموصوف معها، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيم*وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيم﴾ [الانفطار:13-14]. وقوله:﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُون﴾ [الذاريات:15]، وقوله:﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [الأحزاب:35]، وقوله: ﴿ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُون﴾ [البقرة: 254]، وهو كثير جدا في القرآن وكلام العرب. وبدون ذلك لا يحسن الاقتصار على الصفة؛ فلا يحسن أن تقول: جاءني طويل ورأيت جميلا أو قبيحا، وأنت تريد جاءني رجل طويل ورأيت رجلا جميلا أو قبيحا، ولا تقول سكنت في قريب، تريد في مكان قريب مع دلالة السكنى على المكان.

الثاني: أن الشيء أعم المعلومات فإنه يشمل الواجب والممكن، فليس في تقديره ولا في اللفظ به زيادة فائدة يكون الكلام بها فصيحا بليغا فضلا عن أن يكون بها في أعلى مراتب الفصاحة والبلاغة، فأي فصاحة وبلاغة في قول القائل في حائض وطامث وطالق: شيء حائض وشيء طامث وشيء طالق؟ وهو لو صرح بهذا لاستهجنه السامع، فكيف يقدر في الكلام معه أنه لا يتضمن فائدة أصلا؟ إذ كونه شيئا أمر معلوم عام لا يدل على مدح ولا ذم ولا كمال ولا نقصان.

الوجه الثالث: أن طالقا وحائضا وطامثا إنما حذفت تاؤه لعدم الحاجة إليها، فإن التاء إنما دخلت للفرق بين المذكر والمؤنث في محل اللبس، فإذا كانت الصفة خاصة بالمؤنث فلا لبس، فلا حاجة إلى التاء، هذا هو الصواب. "[35]

الاعتراض على القول الخامس:

قال ابن القيم: ((وهذا المسلك- وإن كان قد ارتضاه غير واحد من الفضلاء-

فليس بقوي، لأنه إنما يعرف مجيئه في الشعر، ولا يعرف في الكلام الفصيح منه إلا النادر، كقولهم: ذهبت بعض أصابعه. والذي قواه هاهنا شدة اتصال.))[36]

الاعتراض على القول الثامن:

ضعفه ابن القيم بقوله: " وهذا المسلك ضعيف جدا فإن الله سبحانه حيث ذكر الرحمة أجرى عليها التأنيث كقوله: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُون ﴾[الأعراف: 156] وقوله فيما حكى عنه رسوله صلّى الله عليه وسلّم: ﴿ إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ أَوْ سَبَقَتْ غَضَبِي. ﴾[37].

ولو كان حذف التاء من الرحمة لكونها مصدرا والمصادر لاحظ للتأنيث فيها لم يعد عليها الضمير إلا مذكرا، وكذلك ما كان من المصادر بالتاء كالقدرة والإرادة والحكمة والهمة ونظائرها، وفي بطلان ذلك دليل على بطلان هذا المسلك. "[38]

الاعتراض على القول التاسع:

وخطأ هذا القول أبو جعفر النحاس فقال: " وهذا غلط، لأن كل ما قرب من مكان أو نسب فهو جار على ما يصيبه من التأنيث والتذكير. "[39]

وخطأه كذلك علي بن سليمان الأخفش حيث قال: " هذا خطأ ولو كان كما قال لكان قريب منصوبا في القرآن كما تقول: إنّ زيدا قريبا منك. "[40]

وضعفه ابن القيم قائلا: " وهو أيضا ضعيف فإن هذا إنما هو إذا كان لفظ القريب ظرفا فإنه يذكر كما قال، تقول: جلست المرأة مني قريبا. فأما إذا كان اسما محضا فلا. "[41]

الاعتراض على القول العاشر:

وخطأه ابن القيم بقوله: " وهذا المسلك أيضا فاسد، فإن هذا إنما يكون إذا أسند الفعل إلى ظاهر المؤنث، فأما إذا أسند إلى ضميره فلا بد من التاء، كقولك: الشمس

طلعت، وتقول: الشمس طالعة، ولا تقول: طالع؛ لأن في الصفة ضميرها، فهي بمعنى الفعل في ذلك سواء."[42]

الاعتراض على القول الحادي عشر:

رده ابن القيم بقوله: "وهذا المسلك من أفسد ما قيل في (قريب)؛ فإنه لا يعرف استعماله مصدرا أبدا، وإنما هو وصف، والمصدر هو (قرب) لا (قريب)."[43]

الاعتراض على القول الثاني عشر:

ضعفه ابن القيم قائلا: "وهذا المسلك ضعيف أيضا. وممن رده أبو عبد الله بن مالك، فقال: هذا القول ضعيف، لأن قائله إما أن يريد أن فعيلا في هذا الموضع وغيره يستحق ما يستحقه فعول من الجري على المذكر والمؤنث بلفظ واحد، وإما أن يريد أن فعيلا في هذا الموضع خاصة محمول على فعول. فالأول مردود لإجماع أهل العربية على التزام التاء في ظريفة وشريفة وأشباههما وزنا ودلالة، ولذلك احتاج علماؤهم أن يقولوا في قوله تعالى:﴿ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾ [مريم:28]، وقوله:﴿ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾[مريم:20]، أن الأصل هو بغوي على فعول، فلذلك لم تلحقه التاء، ثم أعلّ بإبدال الواو ياء والضمة كسرة، فصار لفظه كلفظ فعيل، ولو كان فعيلا أصلا للحقته التاء، فقيل: لم أك بغية.

والثاني أيضا مردود؛ لأن لـ (فعيل) على (فعول) من المزايا ما لا يليق به أن يكون تبعا له، بل العكس أولى أن يكون (فعولا) تبعا لـ (فعيل)، ولأنه يتضمن حمل فعيل على فعول، وهما مختلفان لفظا ومعنى أما اللفظ فظاهر، وأما المعنى فلأنّ قريبا لا مبالغة فيه لأنه يوصف به كل ذي قرب وإن قل، و(فعول) لا بد فيه من المبالغة.

وأيضا فإن الدال على المبالغة لا بد أن يكون له بنية لا مبالغة فيها، ثم يقصد به المبالغة، فتغير بنيته كضارب وضروب، وعالم وعليم. وقريب ليس كذلك فلا مبالغة

فيه."[44]

خامسا: القول الراجح:

الذي يظهر لي من خلال الدراسة – والله تعالى أعلم – أن الراجح في هذه المسألة القولان السادس والسابع، وهو أن (قريب) أخبرت عن قرب الله وأغنت عن (قريبة) التي أخبرت عن الرحمة، وفيه الإشارة إلى قرب الله تعالى من المحسنين، وقرب الله يستلزم قرب رحمته، فهي صفته لا تنفك عنه سبحانه وتعالى، وذلك لأن هذا التوجيه بعيد عن الانتقادات، وهو أفضل التأويلات، ويبرز بعض أسرار كتاب الله وعجائب كلام الله، ويشهد لهذا التأويل قوله تعالى: ﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّن السَّمَاء آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ [الشعراء:4] فاستغني عن خبر الأعناق وهو (خاضعة) بالخبر عن أصحابها وهو(خاضعين).

الخاتمة:

في خاتمة هذا المقال يمكن استخلاص النتائج الآتية:

- السبب في إثارة الإشكالات هو ضعف المستوى اللغوي لدى المشكك.
- حفظ الله للقرآن الكريم من خلال توفيق العلماء لإزالة الإشكالات التي تثار حوله.
- تصدي العلماء لكل من يشكك في القرآن الكريم.
- من خلال توجيه الإشكالات تظهر بعض أسرار القرآن الكريم.

هذا وصلى الله وسلم على نبيه محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الحواشي والإحالات:

(1) ينظر: الكشاف للزمخشري:(111/2)،تفسير البيضاوي:(16/3)،تفسير النسفي: (574/1)،تفسير

القرطبي: (71/5).

(2) ينظر:الكشف والبيان للثعلبي: (241/4)، تفسير البغوي: (238/3)،معاني القرآن وإعرابه للزجاج: (344/2)، إعراب القرآن للنَّحَّاس: (57/2).

(3) ينظر:الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي: (2407/4)، غرائب التفسير للكرماني:(408/1).

(4) ينظر:معاني القرآن للأخفش:(327/1).

(5) ينظر:الكشف والبيان للثعلبي:(241/4).

(6) ينظر:الكشاف للزمخشري:(111/2)،تفسير القرطبي:(228/7)،تفسير البيضاوي:(16/3)، تفسير النسفي: (574/1)، التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي: (291/1)، الدر المصون للسمين الحلبي: (345/5).

(7) ينظر:الكشف والبيان للثعلبي:(241/4).

(8) التفسير القيم لابن القيم:(ص282).

(9) ينظر:الكشف والبيان للثعلبي:(241/4)، مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي: (286/14)، تفسير القرطبي: (250/9).

(10) ينظر:الكشف والبيان للثعلبي:(241/4)،تفسير البغوي:(238/3)،معاني القرآن للفراء:(381/1)، . مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى: (216/1)، غرائب التفسير للكرماني: (408/1).

(11) ينظر:معاني القرآن وإعرابه للزجاج:(344/2)

(12) ينظر:مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي: (286/14)، تفسير القرطبي:(71/5)، التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي: (291/1)، الدر المصون للسمين الحلبي: (345/5).

(13) ينظر:الكشاف للزمخشري: (111/2)، تفسير البيضاوي: (16/3)، تفسير النسفي: (574/1).

(14) التفسير القيم لابن القيم: (ص284).

(15) ينظر: المصدر نفسه: (ص269).

(16) تفسير البغوي: (238/3).

(17) ينظر:الكتاب لسيبويه:(383/3).

(18) البيت لجرير. ينظر: ديوانه:(ص270).

(19) التفسير القيم لابن القيم: (ص276-277-278).

(20) المصدر نفسه:(ص282).

(21) المصدر نفسه:(ص281).

(22) بحر العلوم للسمرقندي: (1/522).

(23) معاني القرآن للفراء: (1/380-381).

(24) السراج المنير للخطيب الشربيني: (1/482).

(25) شرح الجرجانية في النحو للعلامة عبد القاهر الجرجاني لشرف بن منصور الثعلبي: (ص154).

(26) ديوان امرئ القيس: (ص65).

(27) ديوان جرير: (ص182).

(28)المصدر نفسه: (ص154).

(29) المصدر نفسه: (ص268).

(30) ديوان الفرزدق: (ص385).

(31) التفسير القيم لابن القيم: (ص270).

(32) المصدر نفسه: (270).

(33) ينظر: المصدر نفسه: (ص272-273).

(34) المصدر نفسه: (ص274-275).

(35) التفسير القيم لابن القيم: (ص276-277-278).

(36)المصدر نفسه: (ص280).

(37) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. ينظر: صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيد * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظ﴾[البروج:21-22]،رقم:(7554).صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، رقم:(2751).

(38) التفسير القيم لابن القيم:(ص283).

(39) معاني القرآن وإعرابه للزجاج:(2/344).

(40) إعراب القرآن للنحاس:(2/57).

(41) التفسير القيم لابن القيم:(ص283).

(42) المصدر نفسه:(ص283).

(43) المصدر نفسه: (ص284).

(44) المصدر نفسه:(ص285).

Directing the forms of reminders about the word (near) in SURAH AL A'RAF 56

(Indeed, the mercy of Allah is near to the doers of good.)

By: Dr. Abdelkader Chekima

Institute of Islamic Sciences–El oued University

Abstract:

Praise be to Allah alone and prayers and peace be upon those who follow him, and after:

People are still ignorant of the time of the Arabic language, which is blatantly bald. It raises the issue of some of the verses of the Quran that show the participants their violation of the language. It is problematic to recall the word (close), which is a word for the word (merciful) feminine in the verse: (Indeed, the mercy of Allah is near to the doers of good.) [Al–Araf: 56]

After research and extrapolation, the interpreters and the linguists found it differed in raising this problem over a dozen words that were more likely to be two

. **key words:** directing , reminders , near